مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 13 ع 01، 16 /01 / 2024
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

واقع إدمان الشباب للإنترنت: دراسة نظرية

The Reality of Internet Addiction Among youth

A Theoretical Study

محبوبي رفيق Mahboubi Rafik* mahboubi.rafik@univ-guelma.dz	علم اجتماع الاتصال	جامعة باجي مختار عنابة/ الجزائر
إبراهيم بلعادي Ibrahim Belaadi b-belaadi@yahoo.fr	علم الاجتماع	جامعة 8 ماي 1945 قالمة/ الجزائر

DOI : 10.46315/1714-013-001-025

الإرسال: 2023/09/05 القبول: 2023/11/05 النشر: 2024/01/16

**

Abstract:

This research paper aims to investigate the phenomenon of internet addiction among young people by understanding their attitudes towards this medium and the various forms of addiction prevalent among them. With the internet and modern communication technologies like smartphones becoming the cultural environment in which young people grow and interact, studies have shown a high prevalence of internet use in their daily lives. It has gained significant importance in their social lives within what is now known as virtual communities. It has also permeated various aspects of human activity, including learning, entertainment, shopping, political engagement, and social interaction. The study has found that the presence of positive attitudes towards the internet partially explains young people's engagement and immersion in virtual communities and digital worlds, leading to internet addiction. This addiction manifests in various forms and patterns among both genders, allowing them to escape from the constraints and pressures of the physical world.

Keywords : Attitude; Internet addiction; Virtual communities ;Youth.

ملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية رصد واقع إدمان الشباب للإنترنت من خلال فهم طبيعة اتجاهاتهم نحو هذه الوسيلة وأشكال أو أنماط الإدمان المنشرة لديهم بعدما أصبحت الشبكة العنكبوتية وتكنولوجيات الاتصال الحديثة كالهواتف الذكية تشكل البيئة الثقافية التي ينمو ويتفاعل الشباب داخلها حيث تشير الدراسات إلى كثافة استخدام الشباب لهذا النوع من وسائل الاتصال والإعلام في الحياة اليومية وقد أخذت أهمية بالغة في حياتهم الاجتماعية في إطار ما أصبح يعرف بالمجتمعات الافتراضية، كما اكتسحت مختلف مجالات النشاط البشري بصفة عامة من تعلم وترفيه وتسوق ومشاركة سياسية وتفاعل اجتماعي...

وتوصلت الدراسة إلى أن وجود اتجاهات إيجابية للشباب عن الإنترنت يفسر جزئيا مدى انخراطهم وانغماسهم في المجتمعات الافتراضية والعوالم الرقمية وإدمانهم للإنترنت. الذي يتمظهر في عدة أشكال وأنماط لدى الجنسين، ويمكنهم من الإفلات من سلطة المجتمع القهرية واكراهاته.

كلمات مفتاحية: الاتجاهات، إدمان الإنترنت، المجتمعات الافتراضية، الشباب.

* - الباحث المُرسل: mahboubi.rafik@univ-guelma.dz

1. مقدمة:

تطورت تكنولوجيا الإعلام الاتصال بشكل سريع وجذري منذ تسعينات القرن الماضي مع انتشار الأقمار الصناعيّة ونمو التكنولوجيات الاتصالية التفاعلية، وبرزت شبكة الانترنت وانتشرت على نطاق واسع حيث أصبحت تمثل وسيلة إعلاميّة واتصالية متكاملة تجمع بين الصورة والصوت والنص المكتوب وتكتسح مختلف مجالات النشاط البشري من تعلم وترفيه وتسوق ومشاركة سياسية وتفاعل اجتماعي... إلى درجة أن هذه التطورات في مجال تكنولوجيات الإعلام والاتصال قد أفضت إلى إثارة العديد من القضايا والمسائل التي لم تطرح من قبل على المجتمعات الحديثة. لعل من أهمها، مسألة استخدامات الإنترنت والاستخدام المفرط لها وتأثيراتها المحتملة التي أصبحت تشكل اليوم محور اهتمام أساسي بالنسبة للعديد من الدارسين والباحثين في عديد من حقول المعرفة العلمية، حيث تطورت الأبحاث الأكاديمية حول هذه القضايا بشكل معتبر في السنوات الأخيرة، لكن دون أن تؤدّي بالمقابل إلى استنفاذ التساؤلات التي تثيرها. والواقع أن مسألة فهم الاستخدام المفرط للشبكة وإدمانها توجد اليوم في قلب إشكالية تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال بصفة عامة، وتثير العديد من الإشكاليات خاصة في المجال الاجتماعي والسياسي.

وتؤكد نظرية الحتمية التكنولوجية لمارشال ماكلوهان أن الاختراعات التقنية والتحسينات التكنولوجية على مستوى وسائل الاتصال وتكنولوجياته تُحدث بالضرورة جملة من التحولات على مختلف الأصعدة والمستويات الاقتصادية والسياسية، كما يقول الخبراء والمختصون في هندسة المعلومات أن الطريقة المتبعة في هيكلة البيانات في نظم المعلومات الموجهة للجماهير العريضة ومنها شبكات التواصل الاجتماعي وطريقة إعداد تتابع المعلومات داخلها أو مايسمى بـ Le Scroll، صممت انطلاقا من نماذج ألعاب المقامرة، فعلى سبيل المثال يمكن الإشارة إلى فايسبوك واتش " Facebbok Watch "، انستغرام وتيك توك. أين طريقة عرض المحتويات وتتابعها ضمن تراتبية رقمية تدفع بالمستخدم من الانتقال بينها والاستمرار في مشاهدة الفيديوهات والمحتويات لفترات أطول لجعله يداوم ويستمر في استخدام التطبيق. ما يعني أن هذه التطبيقات تمتلك ما يسمى بالقدرة أو القوة الادمانية "Le potentiel addictogène" والذي يعبر عن قدرة منتج، أو سلوك، أو نشاط معين على خلق وتكوين إدمان لدى المستخدم، خاصة لدى الفئات الصغرى من أطفال ومراهقين وشباب.

وبشكل عام أصبحت الانترنت وتكنولوجيات الاتصال الحديثة كالهواتف الذكية والإنترنت تشكل البيئة الثقافية التي ينمو ويتفاعل الشباب داخلها حيث تشير الدراسات إلى كثافة استخدامهم لهذا النوع من وسائل الاتصال والإعلام في الحياة اليومية إلى درجة الإدمان عليها. وقد أخذت أهمية بالغة في حياتهم الاجتماعية في إطار ما أصبح يعرف بالمجتمعات الافتراضية أو الجماعات الافتراضية.

وتأسيسا على ذلك تبرز قضية إدمان الإنترنت، وفي هذا السياق تشير الإحصائيات إلى معدلات استخدام كبيرة للشباب للإنترنت حيث توصلت دراسة باتريس فليشي Patrice Flichy والتي تعد واحدة من أهم الدراسات في هذا المجال، إلى أن شبكة التواصل الاجتماعي فايسبوك تلقى رواجا كبيرا داخل الأوساط الشبابية في الجزائر، لدرجة أنها الدولة الوحيدة في العالم التي يتجاوز فيها عدد مستخدمي الفايسبوك عدد مستخدمي محرك البحث قوقل Google. (Flichy, 2012) كما نجد أن مسألة ادمان الإنترنت واسعة الانتشار اليوم في كل الدول العربية وبقية دول العالم. وهو الأمر الذي أثار اهتمام الباحثين والدارسين من مجالات عدة على غرار الاعلام والاتصال، علم النفس، علم الاجتماع. بغية الوقوف على مدى انتشار الظاهرة وتبعات الانخراط الكبير للشباب في العوالم الافتراضية.

وتحاول هذه الدراسة انطلاقا من الأدبيات المرتبطة بمشكلة البحث رصد واقع ادمان الشباب للإنترنت واتجاهاتهم وعوامل ارتباطهم بالشبكة العنكبوتية وأشكال أو أنماط ادمان الإنترنت المنتشرة لديهم. وفي هذا الإطار نطرح التساؤل المركزي الآتي:

- ما واقع ادمان الشباب على الإنترنت والمجتمعات الافتراضية؟

وقد نتج عن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية تمثلت فيما يلي:

1- ما طبيعة اتجاهات الشباب نحو الإنترنت؟

2- ما عوامل ارتباط الشباب بالإنترنت والمجتمعات الافتراضية؟

3- ما أشكال ادمان الإنترنت المنتشرة في أوساط الشباب؟

4- هل هناك فروق في إدمان الشباب للإنترنت ترتبط بجنس المستخدم؟

2. تحديد المفاهيم:

1.2 مفهوم الشباب:

يُعرف ميلسون فريد **Melson fred** الشباب على أنه مرحلة من مراحل العمر تقع بين الطفولة والشيخوخة، وهي تتميز من الناحية البيولوجية بالاكتمال العضوي ونضوج القوة، كما تتميز من الناحية الاجتماعية بأنها المرحلة التي يتحدد فيها مستقبل الانسان المهني والعائلي. (ميلسون، 2007). في حين يؤكد بيار بورديو أن الشباب أو النضج أو الشيخوخة ليست بيانات أو معطيات كمية لكن تمثل بناءات اجتماعية (Largée , 2001, p. 69) وتأسيسا على ذلك تنتهي الطفولة وتبدأ مرحلة الشباب من منظور هذه الدراسة في سن 16 سنة، لأن هذا السن يعني من جهة بلوغ المرحلة الثانوية وبالتالي تبدأ معه نوع من الاستقلالية (تمديد الأوقات المسموح فيها البقاء خارج المنزل، تكوين الصداقات، جماعات الرفاق والنظراء، استكشاف الجنس الآخر...). ومن جهة أخرى فهو ينهي مرحلة التمدرس الإجباري في المنظومة التربوية بالجزائر، وما يرافقها من تبعية للمدرسة

والأسرة، أي السن الذي تلجأ فيه المؤسسات التربوية إلى إنهاء مرحلة التمدرس والتعليم عن طريق فصل الراسبين لمرات عدة. ويتوجه على إثر ذلك التلاميذ سواء للحياة المهنية أو لمؤسسات التكوين المهني أو البطالة. وفي كل الحالات يستهل الأفراد على اختلاف وضعياتهم الاجتماعية سيرورة بناء الهوية المتفردة والتمثلات والممارسات المرافقة بما في ذلك السلوك الرقمي. وتأسيسا على ما سبق يتحدد سن الشباب مجتمع الدراسة من 16 إلى 35 سنة. أي الأشخاص المولودين ابتداء من سنة 1988 إلى سنة 2007 والتي تمثل حقبة جديدة في تاريخ الجزائر تتسم بجملة تحولات وأحداث اجتماعية وسياسية واقتصادية خاصة.

2.2 مفهوم إدمان الإنترنت:

تعرف ICDL العربية إدمان الإنترنت بأنه "الاستخدام المفرط وغير المثمر للإنترنت من قبل الأفراد المعتمدين عليها بشدة لملء أوقات الفراغ وللأغراض الترفيهية والاجتماعية. (Arabia, 2018, p. 113) ويُعرف بريدBread ووولف Wolfe إدمان الإنترنت بأنه حالة من انعدام السيطرة والاستخدام الضار لهذه التكنولوجيا، وتتشابه أعراضه مع المعايير المستخدمة في تشخيص الإدمانات الأخرى وعلى وجه الخصوص المقامرة المرضية. (Beard & Wolf, 2001, p. 193)

وأشارت دراسات كمبرلي يونغ أن الشخص المدمن للإنترنت يستخدم الويب 38 ساعة أسبوعياً فأكثر. واعتبرت إدمان الإنترنت هو الاستخدام الذي ينتج عنه صعوبات اجتماعية وسيكولوجية ومدرسية أو في العمل وفي حياة الأفراد. وانطلاقا من هذه الدراسات حددت أغلب البحوث الحديثة عتبة الإدمان بـ 38 ساعة أسبوعياً.

وتتفق التعريفات السابقة في نقطتين أساسيتين ترتبط بالغرض الترفيهي المرتبط باستخدام الإنترنت وبالآثار الاجتماعية المترتبة عن هذا الاستخدام. فالإدمان على الإنترنت هو ذلك السلوك المنتظم والمستمر الذي تتمظهر من خلاله الحاجة المُلِحة والمتكررة للإبحار والاستخدام المفرط للشبكة العنكبوتية لفترة تساوي أو تزيد عن 38 ساعة أسبوعيا من أجل المتعة بالدرجة الأولى، حيث يستمر الاستخدام للعديد من الساعات بدون فائدة عملية لذلك، مع الإحساس باللذة والراحة والتخفيف من مشاعر الضغط والقلق الداخلي عند التواجد على الشبكة، والشعور بالضيق والتوتر عند استحالة القيام بذلك، فعلى الرغم من معرفة الفرد بالخطورة والأضرار الناجمة عن سلوكه إلا أنه لا يستطيع السيطرة عليه والتحكم في الوقت المنقضي مدفوعا بحاجة ملحة وقهرية لذلك.

3. اتجاهات الشباب نحو الانترنت:

يعد الاتجاه أحد أهم مخرجات أو نواتج التنشئة الاجتماعية وعنصرا أساسيا في تفسير السلوك الإنساني بصفة عامة. والاتجاهات العامة المرتبطة بالإنترنت لدى الشباب كما أشارت إليه الأدبيات، هي على سبيل المثال الميل لمشاهدة مباريات كرة القدم والأفلام والمسلسلات الغربية

بالأساس لدى الذكور والدراما والمسلسلات الشرقية وبرامج الطبخ لدى الإناث في إطار البناء الاجتماعي للفروقات الجندرية.

ويمكن تقسيم الاتجاهات عموما إلى اتجاهات فردية وجماعية أو ما يسمى بخاصية الانتشار. والاتجاهات الجماعية هي تلك الاتجاهات المشتركة بين عديد من الناس كإعجاب الناس بزعيم سياسي أو ديني. أما الاتجاهات الفردية فهي تلك الاتجاهات التي تميز فردا عن آخر كإعجاب الفرد بشخصية معينة (من المشاهير على سبيل المثال). أو بفئة معينة من الناس (الرياضيين، الفنانين، الأدباء...) (مقدم، 2003، صفحة 244). فعلى سبيل المثال يتخذ اتجاه الشباب نحو الألعاب الالكترونية على الشبكة العنكبوتية شكل الاتجاه الجماعي لشيوع وانتشار ممارسة هذا النشاط، كما أن الاتجاه نحو أصناف مختلفة من الفيديوهات والمحتويات المتباينة يمكن اعتباره اتجاها فرديا لأنه يختلف من فرد لآخر.

كما يمكن الحديث عن اتجاهات علنية أو سرية، والاتجاه العلني هو الاتجاه الذي يتحدث فيه الفرد أمام الناس، أما الاتجاه السري فهو اتجاه يجد الفرد حرجا في إظهاره، ويحاول إخفاءه والاحتفاظ به لنفسه أو ينكره أحيانا إذا سئل عنه. ويمكن في هذا الإطار الإشارة إلى اتجاه الشباب نحو صناعة ومشاركة المحتويات عبر الويب والذي يعتبر اتجاه علني ومُصرح به، أو الاتجاه نحو استهلاك المواد الإباحية أو المحتويات العنيفة أو غير المقبولة اجتماعيا أو غير المشروعة كاتجاه سري لا يبوح به الأشخاص.

وعلى اختلافها فلقد أشارت الدراسات والبحوث العلمية المتعلقة بوسائل الاتصال والإعلام عموما إلى أن الشباب في المجتمعات المعاصرة تشكلت لديه اتجاهات قوية نحو تكنولوجيا الاتصال والانترنت، وبالمقابل نجد لهم اتجاهات ضعيفة حيال الوسائل التقليدية كالاذاعة والصحافة.

والاتجاهات الموجبة هي التي توجه وتدفع بالفرد نحو شيء معين كاستهلاك المحتويات الرقمية، الدردشة، الألعاب الالكترونية عبر الخط مثلا، أما الاتجاهات السالبة فهي التي تجنح بالفرد بعيدا نحو شيء آخر.

وعلى صعيد آخر تختلف الاتجاهات من حيث الشدة وفي هذا الإطار كشفت دراسة سامية السيد علي السيد سنة 2012 عن وجود اتجاهات إيجابية لدى الشباب نحو استخدام للإنترنت. ما أدى إلى اعتمادهم عليه واعتباره الوسيلة الأساسية والأولى للحصول على المعلومات والمعارف والثقافات، حيث أن عدد الساعات التي يقضيها في استخدام الانترنت تتراوح بين الساعتين والستة ساعات يوميًا.

وبينت دراسة هونج Hong وآخرون سنة 2003 حول مدى نجاح البيئة التعليمية الغنية بالتكنولوجيا والإنترنت في بناء اتجاهات إيجابية بين الطلبة أنه كان لدى الطلبة اتجاهات إيجابية نحو استخدام الإنترنت كأداة للتعلم، نتيجة لذلك كان لديهم معرفة أساسية كافية بالإنترنت، وقد رأوا بيئة الإنترنت بيئة مشجعة ومعززة لاستخدامها في التعلم. (Hong, 2003, pp. 45-49)

وفي ضوء ما سبق وانطلاقا من الدراسات السابقة المرتبطة بمشكلة البحث وفي مقدمتها دراسة الحبيب بن بلقاسم والفرفار العياشي وباتريس فليشي يمكن القول أن إدمان الشباب واستخدامهم المفرط للإنترنت هو بمثابة مكون سلوكي لاتجاه الشباب نحو الشبكة العنكبوتية الذي يعد انعكاسا لقيمهم وتمثلاتهم عنها وهذا الاتجاه يعتبر اتجاها عاما داخل المجموعات الشبابية مع وجود تباينات داخلية تبعا لمتغيرات نوعية كالسن والجنس والمستوى التعليمي. ويتسم في العموم بأنه اتجاه موجب وقوي يعبر عن نفسه من خلال بروزه الجلي والواضح. كما أنه في الغالب علني لا يجد الشباب حرجا في إظهاره. ويعود ذلك بالأساس حسب دراسة "عبد الوهاب بوخنوفة" إلى تَمثل الشباب عن الإنترنت؛ حيث تُمثل في نظرهم أكثر من مجرد وسيلة إعلام واتصال وترفيه. وأصبحت فضاء لتجاوز المعيش وأداة لتحقيق الأحلام التي عجز الواقع عن تحقيقها. ويتم ذلك بالدرجة الأولى من خلال الانضمام والانتساب للمجتمعات الافتراضية.

4. عوامل ارتباط الشباب بالعوالم والمجتمعات الافتراضية:

شكل التطور والانتشار الكبير للمجتمعات الافتراضية والانخراط غير المسبوق للشباب فيها تحديات جديدة للباحثين الذين يحاولون فهم هذه العوالم الافتراضية وتفسير اِنشغاف الفئات الشبابية بها. إذ خلق التطور التكنولوجي والانتشار الكبير للإنترنت تحديات جديدة للباحثين لفهم وتفسير التفاعلات المستحدثة بين الإنسان ووسيلة الاتصال والمفارقات الجديدة والظواهر والمشكلات المترتبة عنها. حيث أصبحت الإنترنت جانب مهم من حياة الشباب ويعتمدون عليها في الترفيه، التواصل، التعليم، التسوق، التفاعل والعلاقات الاجتماعية، ويندمجون معها من خلال تشكيل مجتمعات افتراضية مع أشخاص آخرين يشتركون معهم في الاهتمامات والميول. ولذلك يرى كل من جون هاغل John Hagel وآرثر آرمسترونغ Arthur G Armstrong أن فكرة المجتمع هي في قلب الإنترنت وتشكل محور الويب. وهذه التكنولوجيا تتيح أشكال متنوعة من الاتصالات تتحدى حدود الزمان والمكان. كما أن التحديثات والتحسينات التقنية التي جعلت ظاهرة العولمة ممكنة تُنْبِأ بأن المجتمعات الافتراضية ستتطور أكثر في المستقبل.

أما عن عوامل الانخراط في العوالم الافتراضية فتوصلت دراسة الفرفار العياشي أنه يتمثل أساسا في التحرر من القهر الاجتماعي، حيث عبر أغلب المنخرطين في المجتمعات الافتراضية أنهم يحاولون "قتل الوقت" أو البحث عن بدائل لواقع قاسي، وهو ما يدل على أن التواصل الافتراضي

هو نوع من الهروب والهجرة من واقع غير مريح، وبالتالي يكون الانخراط في شبكات التواصل نوع من الحلول المؤقتة للخروج من الأزمة أو على الأقل نسيانها.

فالشخصية والهوية الافتراضية تبني قيمها وعلاقاتها داخل العوالم الافتراضية من خلال تجاوز الواقع الفعلي، ونفيه وبالتالي ترسيخ حالة الانفصال مع الواقع بدءا من تغيير الأسماء والصفات والمعطيات الشخصية الموضوعة على الحسابات الشخصية، وهو ما يعني إعادة ترتيب الهوية الافتراضية بناء على ما يريده الفرد وليس على ما هو واقع وكائن.

كما تبين لباتريس فليشي في دراسته للشباب الجزائري أن اندماجهم الكبير مع الإنترنت وانغماسهم في المجتمعات الافتراضية يمكن فهمه أو وصفه بأنه بمثابة تعويض لنقص الموارد والأفق في محيطهم وعالمهم، فالحياة على الخط أو على الشبكة تمثل ملجأ لتجاوز التناقضات التي يحتويها المجتمع وضيق الأفق ومهربا من العقبات التي عجز الشباب عن تجاوزها في الواقع. فإذا كانت حياة الشباب معطلة ويميزها الفراغ، فإن الإنترنت تكون بمثابة أداة مهمة للاستكشاف، أو فضاء وحيزا يمكن من بناء حياة أو هوية أخرى بديلة تمكن من تجاوز عقبات الواقع وسلطة المجتمع واكراهاته والضبط الاجتماعي الممارس على الشباب مع غياب أي أفق لتحقيق الذات أو فضاءات للترفيه. وبهذه الصيغة تمثل الإقامة في العوالم الافتراضية هروبا من واقع مؤلم ومرفوض إلى واقع مريح نسبيا، لا يحل المشاكل لكنه يساهم في نسيانها، ويعد بمثابة فضاء للتنفيس أو فضاء مسرحي يتقمص فيه الشباب أدوار تتوافق مع آمالهم ورغباتهم التي عجز الواقع والمجتمع المعيش والواقعي المعروفة قيمه وشبكة علاقاته والترتيبات الاجتماعية القائمة فيه والسلط المهيمنة عن تحقيقها.(Dugain & Labbé, 2016, pp. 194-196) ،

وبهذا المنظور للعوالم الافتراضية التي تتضمن علاقات افتراضية وهويات افتراضية يسعى الأفراد إلى تحقيقها في إطار ما سماه مانويل كاستلز بالمجتمع الشبكي، من خلال تبني هويات بديلة أو متجاوزة للواقع، يصبح "عرض الذات في الحياة اليومية" بتعبير إرفنغ غوفمان Erving Goffman يُمارس في العوالم الافتراضية التي تتضمن مسرحا للتفاعل الاجتماعي يؤدي الأفراد من خلاله مجموعة أدوار انطلاقا من هوياتهم الافتراضية، ويسعون بشكل واعٍ أو غير واعٍ لخلق انطباعات مرغوب فيها أمام مجموعة من المراقبين يساهمون في إدارة الانطباع. وهذا التواصل يعتبر نوعا من التنظيم الاجتماعي الذي يحدث عبر التفاعل بين الأفراد في الفضاءات الرقمية.

وتعتبر اليوم المجتمعات الافتراضية صيغة جديدة للحقيقية الاجتماعية، عبر عنها "ميشال مافيزولي" Michel Maffesoli بمفهوم القبلية الجديدة، والتي تشكل وعاء للتفاعلات والعلاقات والقيم بين الأفراد. (Mafessoli, 2019, p. 79)

ويعد البعد القيمي من أهم مقومات المجتمعات الافتراضية ويتلخّص في مدى توفر مجموعة من المعايير المشتركة المنظمة للأفعال الاجتماعية للأعضاء، ومدى توافر الشعور بالولاء للمجتمع لدى هؤلاء الأعضاء. وتعدّ القيم والمعايير موجّهات للسلوك الذي يجب الأخذ به، أو تطبيقه في مواقف اجتماعية محدّدة، وتتحدّد الالتزامات، التي يمليها دور الشخص في الجماعة الاجتماعية، عن طريق المعايير التي تضعها الجماعة أو التي تسير عليها، وعلى هذا الأساس فإنّ المعايير الاجتماعية تكون بمثابة قواعد أو مبادئ سلوكية عامة ملزمة للأفراد، ابتداء من الأفعال البسيطة في الحياة اليومية، انتهاء بالأحكام الأخلاقية المعقدة، التي تزيد من وحدة المجتمع وتماسكه من خلال تقبل الأفراد لها.

وأكدت العديد من الدراسات على أهمية التجمعات الافتراضية ودورها الأساسي لفهم الظواهر الثقافية وتشكلها. وهذه التجمعات عرفت على أنها مجموعات اجتماعية تتشكل عبر الويب عندما يتفاعل الأشخاص عبر محادثات علنية لوقت معين من الزمن، مع قدر كاف من العواطف الإنسانية لتتشكل شبكات للعلاقات الشخصية في الفضاء الافتراضي.(Rheingold, 1993, p. 3) هذه المجموعات تمكن أشخاص متباعدين جغرافيا من التواصل وتبادل نفس الاهتمام، وكذلك تمكن الفرد من الحصول على دعم اجتماعي من أشخاص آخرين. وبينت دراسات حديثة أن هذه المجموعات تساهم اليوم في التنشئة الاجتماعية للأفراد. وكشفت أن الأفراد يتحررون من قيم المحيط المباشر والمجتمع ويكونون جماعات لها معايير وممارسات وقيم جديدة وطقوس خاصة غير خاضعة للضبط الاجتماعي ما يمكن أن يترتب عنه في النهاية إلى تشكيل ثقافة فرعية أو حتى ضادة لثقافة المجتمع. وفي حالة ما إذا كان الفرد هامشي توفر المجتمعات الافتراضية الشعور بالأمان وتمنح للأفراد إمكانية التطرق للمواضيع التي لا تتماشى مع قيم مجتمعاتهم، كما أن الأفراد يشتركون بشغفهم لمواضيع معينة. ويقول "هوارد رينجولد" أن المجتمعات الافتراضية تمكن من المشاركة في نقاشات دون قلق الفرد من مظهره أو بنيته الجسمانية ودون التفكير في بنية أو مظهر الآخرين. فالأهم هو الفكرة والتفاعلات، ومنح الأفراد القدرة على عدم كشف عن هوياتهم يعطيهم حرية أكبر في التفاعلات ويشجع حرية التعبير التي تلقى العديد من الصعوبات والحواجز في الحياة الحقيقية.

وهكذا فإن البعد الجغرافي والاسم المستعار يمنح لمستخدم الويب حماية وحرية وشعور بالثقة والأمان من الصعب أن يجدها في سياقات أخرى. وهذه المجهولية الافتراضية تمنح المستخدم الشعور بالأمان لينخرط في محادثات وتفاعلات وجماعات غير متاحة في الحياة الواقعية. وترى "جاين سينجر Jane B. Singer أن هذا الأمر يتم دون عواقب أو تبعات اجتماعية لأن الأشخاص خلف أجهزتهم الموصولة بالإنترنت لا تطالهم الأحكام القيمية وتنميطات المجتمع ومؤسساته الضابطة والأحكام الواصِمة. كما أن هذه المجموعات هي مصدر الدعم الاجتماعي للأعضاء.

وأشارت العديد من الدراسات لهذا النمط من المساعدة والمساندة الاجتماعية؛ حيث توصلت دراسات كل من "باري ولمان Barry Wellman وميلينا غوليا Milena Gulia إلى رصد هذا النمط من المساعدة والتضامن داخل المجموعات النسوية (الطبخ، تربية الأولاد، التعامل مع الأزواج...) وداخل مجموعات مدمني المخدرات والكحول. وتوصلت دراسة "ميشال نيلسون Michelle R. Nelson وسيل آتنس Cele C. Otnes" سنة 2005 عن الزواج ما بين الثقافات أن هذه التجمعات الافتراضية تمنح دعم عاطفي واجتماعي للمقبلات على الزواج في ظل اختلاف التقاليد الاجتماعية المرتبطة بالزواج بين أسر الزوج والزوجة، فالمجتمع الافتراضي يوفر لهن الاستماع إلى انشغالاتهن والتعاطف مع مشكلاتهن والدعم اللازم لإنجاح مشروع الزواج.

ويتطرق كل من "كارولين فيرتز Caroline Wiertz" و"كاو دي روتر Ko De Ruyter" للطريقة التي من خلالها تقدم المجتمعات الافتراضية الدعم للأعضاء. وذلك عن طريق ما سمياه بالرأسمال الاجتماعي الذي يشكله الأعضاء، من خلال القيم والثقافة التطوعية والتضامن، والمعاملة بالمثل والثقة الاجتماعية؛ إذ تنخرط الجماعة الافتراضية بتلقائية في إيجاد حلول لمشاكل الأعضاء. كما *كشفت* دراسة الباحثة "ندى سايارNada Sayarh" عن قيم التعاضد والتضامن والمساندة المتبادلة بين أعضاء المجتمعات الافتراضية، والتي تعد بمثابة أبعاد مشَكلة للشعور بالأمان الذي يدفع بالأعضاء لمشاركة وتقاسم مشاكلهم وأفكارهم المكبوتة وغير المعلنة في سياق الاتصال في الحياة الواقعية خشية الوصم الاجتماعي. ولذلك أصبحت الجماعات الافتراضية تشكل بيئة داعمة للأعضاء، أين يحس الفرد بالحرية وبالتالي يكشف عن شخصيته ورغباته الحقيقية، هذه الحرية والتضامن غير مشروط مع غياب سلطة المجتمع المتمثلة في القيم والمعايير والمؤسسات الضابطة كلها عوامل تؤدي في بعض الأحيان حسب "هوارد رينغولد" إلى تحول هذه الفضاءات لبيئة خصبة للنقاشات أو حتى للتفاعلات المنحرفة وبالتالي تمثل فضاء لتشكل وتنمية الانحرافات الاجتماعية.

وفي دراسة مهمة عن تمثلات واستخدامات الإنترنت لدى شباب الأحياء الشعبية في الجزائر توصل الباحث "عبد الوهاب بوخنوفة" إلى أن الإنترنت أكثر من كونها مجرد "وسيلة إعلامية"، بل هي في نظر الشباب وسيلة اتصال وترفيه وربط العلاقات مع الآخرين عن طريق البريد الالكتروني والدردشة والرسائل الفورية والمنتديات والانتساب للمجموعات الافتراضية.

وخلصت الدراسة إلى أن الإنترنت عن طريق المجتمعات الافتراضية تمكن الشباب من إقامة علاقات وصداقات جديدة، ومن تحقيق أحلام وطموحات تراود هذا الشباب الذي يعاني من مشاكل اجتماعية واقتصادية جعلته يفكر في الهجرة وتغيير واقعه المعيش. حيث أن الشباب يتمثلون هذه العوالم كفضاء حر بعيد عن الرقابة العائلية والمجتمعية وتمكنهم من الشعور

بالحرية والتحرر من كافة أنماط الرقابة والتبعية. وتمثل في نظرهم وسيلة لتحقيق الأحلام، إذ يحلم الشاب من خلال انخراطه الكثيف في المجتمعات الافتراضية بالفتاة التي تفتح له أبواب الهجرة التي تعد السبيل الوحيد لتجاوز واقعه الصعب والمتأزم، كما تحلم الفتاة بالرجل الغني الذي ينتشلها من وصاية الأسرة ويمكنها من تحقيق ما تصبو إليه في حياتها. (بوخنوفة، 2011، الصفحات 73-74). وكل هذه العوامل تؤدي إلى انخراط الشباب وإدمانه للإنترنت والذي يتمظهر في عدة أنماط وأشكال.

5. أشكال إدمان الإنترنت المنتشرة في أوساط الشباب:

حسب Marie-Anne Sergerie فإن الدراسات والأبحاث العلمية ذات الصلة تؤكد أن إدمان الإنترنت يتمظهر أساسا في مجموعة أنماط وممارسات نمطية على الشبكة متمثلة في: (Sergerie, 2020, pp. 63-68)

1.5 النشاطات الجنسية على الشبكة: حسب بعض الدراسات، يُعد إدمان الانترنت المرتبط بالنشاطات الجنسية على الشبكة النمط الأكثر بروزا، ويندرج ضمن هذه الفئة الجنس السيبري وأيضا تبادل ومعاينة أو تحميل المواد الإباحية أي ما يسمى بـ La cyberpornographie

وتبدأ هذه الممارسات في الغالب عن طريق تبادل الرسائل أو ما أصبح يعرف بـ: Sexting أو Sextage والتي تعني تبادل رسائل نصية تتضمن إيحاءات جنسية مرفوقة في الغالب بصور مثيرة. وتعرف هذه الظاهرة انتشارا كبيرا في أوساط المراهقين والشباب عموما، ففي أوروبا سبق لشاب من بين اثنين تلقي هذا النوع من الرسائل، وشاب من بين خمسة شبان سبق له وأن أرسل رسالة مشابهة.

كما يمكن أن تبدأ من خلال تلقي إشهار ورسائل عرضية حيث كشفت دراسة مهمة في الجزائر شملت 441 طفلا من الطور الابتدائي و564 من المتوسط و270 من التعليم الثانوي من مناطق مختلفة من العاصمة الجزائرية، أن 20 % من تلاميذ الابتدائي و56 % من تلاميذ المتوسط و47 من تلاميذ الثانوي الذين شملتهم الدراسة قد تعرضوا لصور جنسية مفاجئة عبر الإنترنت شكلت لديهم الفضول والرغبة في متابعتها واقتفاء آثارها. (حوام، 2010، صفحة 17)

2.5 العلاقات السيبرانية والوسائط الاجتماعية: أو العلاقات عبر الشبكة، وتتضمن العلاقات السيبرانية على بعد تفاعلي وتشمل المحادثات واللقاءات وكل العلاقات الناشئة أو المستمرة بفضل الإنترنت أو التكنولوجيا الحديثة للاتصال وترتبط بمواقع التعارف واللقاءات والتشبيك مثل فايسبوك، تويتر، انستغرام، سناب شات...

3.5 ألعاب الفيديو: صنف الإصدار الخامس من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية DSM V اضطراب ألعاب الفيديو على الإنترنت بأنه استخدام مستمر ومتكرر للإنترنت من أجل ممارسة الألعاب، وفي الغالب مع لاعبين آخرين، ما يؤدي إلى الإخلال بالوظائف والتوازن الطبيعي لحياة الفرد.

4.5 المعاملات المالية عبر الشبكة: يتضمن هذا الصنف المعاملات المالية عبر الخط؛ مثل المزايدات ومعاملات البورصة، أو التجارة الالكترونية (الشراء في الغالب) وهذا النوع من الإدمان يمكن أن يقود

المستخدم إلى تخصيص وقت معتبر لهذه النشاطات على حساب النشاطات الأخرى، ويمكنه كذلك استثمار مبالغ معتبرة في هذه النشاطات، وهو ما يمكن أن يترتب عنه مشاكل مالية. كما يمثل القمار أهم نشاط يجذب المدمنين إلى جانب المزايدات ومعاملات البورصة والتسوق عبر الإنترنت.

5.5 البحث عن المعلومات: يتم البحث عن المعلومات عادة من خلال الإبحار عبر الإنترنت وهو ما يمكن أن يتطور ويصبح تكديس سيبراني أو رقمي لكميات معتبرة من المعلومات عبر الشبكة. مع تخصيص المستخدم لوقت كبير لهذا النشاط ما ينجر عنه بالضرورة انعكاسات تتمثل أساسا في تراجع الأداء الوظيفي وتدني النتائج الدراسية وانخفاض الوقت المخصص للمهام والوظائف والأنشطة الأخرى بصفة عامة، وبروز أو ظهور الضغوطات المهنية والاجتماعية الناتجة عن ذلك.

وعلى صعيد آخر يمكن للشاب أن يدمن شكل أو نمط واحد من أشكال الإدمان، كما يمكن كذلك أن تتشكل لديه تبعية لأشكال عدة منها. وذلك يخضع للمتغيرات الاجتماعية والشخصية للشباب حيث أشارت بعض الدراسات لوجود سمات معينة لدى مدمني الشبكة العنكبوتية من الشباب.

6. إدمان الانترنت لدى الجنسين:

ترى "جوزيان جوي" أن هناك اختلافا في ممارسات الذكور والإناث للأدوات الاتصالية، إذ يلاحظ بصمة ثقافية في بناء الاستخدامات، ومن الدراسات الأولى التي توصلت إلى وجود تباينات بين الجنسين ترتبط بالسلوك دراسة "حسن عماد مكاوي" سنة 1992 حيث توصلت إلى أن طلاب الجامعة الذكور في سلطنة عمان أكثر تعرضا للبرامج الإخبارية، ونشرات الأخبار، والأفلام العربية، والبرامج العلمية والرياضية، بينما كانت الطالبات أكثر تعرضا لبرامج الموسيقى والغناء والتمثيليات العربية وبرامج المنوعات والمرأة. (مكاوي وعلم الدين، 2009، الصفحات 188-189)

وتؤكد الدراسات في مجال تثاقف تكنولوجيا الإعلام والاتصال إلى وجود تقسيم ثنائي ومتناظر بين الذكور والإناث، فجل الأبحاث تركز على النوع الاجتماعي (الجندر) المذكر في مجال تكنولوجيات الإعلام والاتصال، وساهم هذا في تعزيز الصورة النمطية للثقافة الذكورية وبالضرورة التكنولوجية، وعلى العكس من هذا هناك عدد قليل من الدراسات التي تهتم بتبني الإناث للتكنولوجيا. لكن العلاقة بين تكنولوجيات الاتصال والجندر آخذة في التطور والانفتاح لأنها جزء من ديناميكية الابتكار التقني والابتكار الاجتماعي، فلقد أصبحت النساء أكثر اهتماما بالتكنولوجيات في مكان العمل والمؤسسات التعليمية، ومهاراتهن وفهمهن لمبادئ هذه التكنولوجيا في تطور بمرور الوقت (Jouët, 2003, p. 81). ولا يمكننا الحديث عن فئة متجانسة سواء عند الذكور أو الإناث، فالظروف الاجتماعية والثقافية بصفة عامة تلعب دورا محوريا كمتغيرات في استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال.

ويُعتقد أن سبب إنشغاف الذكور بالتكنولوجيا يعود لما توفره لهم من مواد ترفيهية كما يُرجح أن سبب إقبال الإناث على الانترنت هو أنها أصبحت تشكل بديلا وفضاء افتراضيا يمكنهم من بناء علاقات وتفاعلات مع الآخرين في ظل التضييق المفروض عليهم من المحيط الاجتماعي. كما أن التنشئة الاجتماعية والإشراطات الاجتماعية التي تُهيّئ الشباب لأدوار مستقبلية معينة تجعل الذكور يتجهون لاستخدام

الإنترنت للحصول على الشعور بالقوة والمكانة والسيطرة والمتعة، ولا شك أن هذا يجعلهم يدخلون على مواقع لإشباع هذه الحاجات فنجدهم أكثر دخولاً على مواقع مصادر المعلومات والألعاب وبخاصة العدوانية منها والهكرز وحجرات الدردشة الجنسية الصريحة والأفلام الخليعة.

وعلى العكس، نجد الإناث أكثر إقبالا على مواقع "الشات" أو الدردشة من أجل عقد صداقات مع نفس الجنس أو مع الجنس الآخر لإشباع الحاجة للتفاعل وللحب وللآخر وللمشاركة الاجتماعية، والبريد الإلكتروني ومجموعات الأخبار لإشباع الحاجة للمعرفة.

وعلى صعيد آخر فلقد توصلت العديد من الدراسات إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مدمني ومدمنات الإنترنت من المراهقين والشباب في كل من أبعاد الشخصية والاضطرابات النفسية؛ فكانت الفروق لصالح الذكور في الانبساطية، العدوانية، العدائية، الأرق الليلي، الحساسية التفاعلية. في حين كانت هذه الفروق لصالح الإناث في الانطوائية، الأعراض السيكوسوماتية، القلق، الاكتئاب، توهم المرض، الفوبيا. (أرنوط، 2017، صفحة 463).

كما كشفت دراسات كل من باتريس فليشي للمجتمع الجزائري والحبيب بن بلقاسم للمجتمع التونسي والفرفار العياشي للمجتمع المغربي وحلمي خضر ساري للمجتمع القطري ودراسة بشرى اسماعيل أحمد أرنوط للمجتمع السعودي والمصري أن الضبط الاجتماعي يكون أكثر صرامة وتضييقا مع الإناث مع تأطير صارم للعلاقات مع العالم الخارجي وخصوصا مع الجنس الآخر وهو ما يفسر الأعراض المرتبطة بالتوتر الملاحظة لدى الإناث. كما أن التنشئة الاجتماعية للذكور تسمح لهم بهامش من العدوانية تماشيا مع الأدوار الاجتماعية المنوطة بهم والمرتبطة أساسا بالحماية. وتوصل الباحث "جون شارل نايبي Jean-Charles Nayebi" إلى وجود علاقة بين الجنس وأشكال الإدمان المنتشرة في أوساط الشباب ندرجها في الجدول الآتي:

جدول رقم (01) يوضح علاقة أشكال إدمان الإنترنت بجنس المستخدم

طبيعة الإدمان	أشكاله	الجنس الأكثر عرضة	الملمح الكلاسيكي
إدمان العلاقات	الدردشة	أنثى	تبعية عاطفية Dépendance affective عصابي Névrotique هستيريا Hystérie
إدمان الجنس	الفيتيشية cyber fétichisme	ذكر	إنحرافات جنسية Perversions sexuelles
	مشاهدة صور وفيديوهات إباحية Cyber-voyeurisme	ذكر	
	الإستعراء Exhibitionnisme	أنثى	
	تبادل المحتويات الجنسية Cybersexe-échange	ذكر/أنثى	

إدمان الألعاب على المواقع	القمار Jeu pathologique	ذكر/أنثى	اكتئاب أو عدم النضج السوسيو عاطفي
	إدمان ألعاب الفيديو	ذكر	
الإدمان على البحث عن المعلومات والمعرفة	الإبحار المفرط Hyper surf	ذكر/أنثى	الوسواس القهري
	الإدمان على المعلومات Infohlisme, Cyberamassage, Cyberhoarding	ذكر	

المصدر: (Nayebi, 2007, p. 19)

ويتضح من الجدول أن الذكور من الشباب يدمنون بالدرجة الأولى على ألعاب الفيديو ومشاهدة المحتويات الإباحية وإدمان المعلومات وفسرت بعض الدراسات ذلك بأنماط التنشئة الاجتماعية الذكورية التي تعد الذكور لأدوار اجتماعية ترتبط بالحماية ما يجعل تلك الأنماط التنشيئية تسمح لهم بقدر من العدوانية والعنف والسيطرة، وهو ما يجعلهم أكثر ميلا للألعاب العنيفة وكل المضامين التي تعزز أدوارهم الذكورية. بينما تميل الإناث للإبحار المفرط وإدمان العلاقات كتعويض عن التضييق والتأطير الكبير من طرف الأسرة والمحيط لعلاقات الإناث بالعالم الخارجي وبالخصوص لعلاقاتهن مع الجنس الآخر. وعلى اختلاف أشكال إدمان الإنترنت لدى الشباب فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالدوافع كمحرك رئيسي لها.

7. خاتمة:

تبين لنا من خلال نتائج الدراسة أن إدمان الشباب واستخدامهم المفرط للإنترنت هو بمثابة مكون سلوكي لاتجاه الشباب نحو الشبكة العنكبوتية الذي يعد انعكاسا لقيمهم وتمثلاتهم عنها وهذا الاتجاه يعتبر اتجاها عاما داخل المجموعات الشبابية، فالشباب اتجاهات قوية نحو تكنولوجيا الاتصال والانترنت بصفة عامة واتجاهات إيجابية نحو استخدام للإنترنت، ما أدى إلى اعتمادهم عليها واعتبارها الوسيلة الأساسية والأولى للحصول على المعلومات والمعارف والثقافات، وكدلك للتواصل والترفيه. كما تُمثل في نظرهم أكثر من مجرد وسيلة إعلام واتصال وترفيه، حيث أصبحت فضاء لتجاوز اكراهات وأعطاب الواقع المعيش وأداة لتحقيق الأحلام التي عجز الواقع عن تحقيقها. ويتم ذلك بالدرجة الأولى من خلال الانضمام والانتساب للمجتمعات الافتراضية.

وتتمثل عوامل الانخراط في العوالم الافتراضية أساسا في التحرر من سلطة المجتمع القهرية والواقع الاجتماعي، وعلى صعيد آخر تتمثل أهم أشكال أو أنماط إدمان الإنترنت المنتشرة في أوساط الشباب في إدمان العلاقات وألعاب الفيديو والألعاب الالكترونية ومتابعة الدراما، بالإضافة إلى النشاطات الجنسية على الشبكة.

كما نجد الإناث أقل معرفة بمحتوى التقنية، مع تغليب الاستخدامات الوظيفية، والإحجام عن الانخراط الكامل في الحوار مع الآلة. في حين نجد أن الرغبة والمتعة مستثمرتان بكثافة في استخدام التقنية بشكل ظاهر من قبل الذكور أكثر من الإناث وذلك من خلال ألعاب الفيديو والألعاب الالكترونية، مع الميل لمشاهدة مباريات كرة القدم والأفلام والمسلسلات الغربية بالأساس لدى الذكور والدراما

والمسلسلات الشرقية وبرامج الطبخ لدى الإناث في إطار التنشئة الاجتماعية للجنسين والبناء الاجتماعي للأدوار وللفروقات الجندرية.

وفي الأخير يجب التنويه إلى أن الموضوع يحتاج لمزيد من البحوث والدراسات للإحاطة بكافة أبعاده والتمكن من رسم العلاقة المعقدة بين التقنية عموما والإنترنت على وجه الخصوص بحياة الشباب ومكونات الواقع الاجتماعي، التي تدفعهم للانخراط في العوالم الافتراضية والاستهلاك المفرط للإنترنت.

**

*- المصادروالمراجع:

- اسماعيل أحمد أرنوط، بشرى، (2017). إدمان الانترنت وعلاقته بكل من أبعاد الشخصية والاضطرابات النفسية لدى المراهقين. *مجلة كلية التربية جامعة الزقازيق*، (55)، 460-470
- بوخنوفة، عبد الوهاب، (2011). *شباب الأحياء الشعبية في الجزائر والإنترنت: محاولة إقتراب التمثل والاستخدامات*. تونس: معهد الصحافة وعلوم الأخبار/ مؤسسة كونراد ادناور.
- حوام، بلقاسم. (2010، جانفي 20). الجنس يتصدر قائمة بحث الأطفال على الإنترنت لعام 2009". *جريدة الشروق اليومي*، ص.17.
- مقدم، عبد الحفيظ، (2003). *الإحصاء والقياس النفسي والتربوي*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،
- مكاوي، حسن عماد. وعلم الدين، محمود، (2009). *تكنولوجيا المعلومات والاتصال*. القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع، 188-189

- Arabia, I. (2018). *Cyber safety*. UAE: Emid Ed.
- Beard, K. W., & Wolf, E. M. (2001). Modification in the proposed diagnostic criteria for internet addiction. *Cyber Psychology and Behavior, 4*(3), p. 383.
- Dugain, M., & Labbé, C. (2016). *L'homme nu: La dictature invisible du numérique*. Paris: Edition Robert Laffont-Plon.
- Hong, R. (2003). Students Attitudes towards the Uses of the Internet for Learning: A Study at University in Malaysia. *Educational Technology and Society, 6*(2), 48-49.
- Jouët, J. (2003, Janvier). Technologies de la communication et genre: Des relations en construction. *Réseaux, 120*(4), 89.
- Largée , J. (2001). *Citizenship and youth*. Paris: La documentation française.
- Mafessoli, M. (2019). *Le temps des tribus: le déclin de l'individualisme dans les sociétés postmodernes*. Paris: édition la table ronde.
- Nayebi, J.-C. (2007). *La cyberdépendance en 60 questions*. Paris: édition Retz.
- Rheingold, H. (1993). *The virtual community: Homesteading on the Electronic Frontier*. New York: Harper Collins.
- Sergerie, M.-A. (2020). *Cyber dépendance quant l'usage des technologies devient un problème*. Cannada: Les éditions La presse.